

قبيلة الخُلُط ودورها السياسي خلال عصر دولة الموحدين

(515-667هـ/1121-1269م)

Al-Khoult Tribe and its Political Role in the Almohad era

(515-667Ah/1121-1269Ad)

اسم ولقب المؤلف المرسل: آية محمد حلمي الجندي- Aya Mohamed Hilmy Elgendy صص 292-303
الدرجة والعنوان المهني: دكتوراه في التاريخ الإسلامي- تخصص تاريخ المغرب والأندلس- باحثة عضوة في
اتحاد المؤرخين العرب والجمعية المصرية للدراسات التاريخية- جمهورية مصر.
البريد الإلكتروني: ayaelgendy461@gmail.com

تاريخ استقبال المقال: 2021/12/30 تاريخ المراجعة: 2021/01/06 تاريخ القبول: 2021/02/03

الملخص: لعبت قبيلة الخُلُط دوراً واضحاً على المسرح السياسي لتاريخ دولة الموحدين، فبعدما كانت قبيلة عربية خارجة عن طاعة الموحدين، أصبحت أحد القبائل التي تعبت بتولية وخلع وحتى قتل الخلفاء من بني عبد المؤمن، وبالرغم من أن هذا الأمر لم تنفرد به الخُلُط دون القبائل الأخرى، فإنهم تميزوا عن بقية القبائل بالقوة وكثرة العدد حتى أنهم اغتروا بأنفسهم وقوتهم، الأمر الذي جلب عليهم نكبة الرشيد لهم، إن قبيلة الخُلُط لم تكن موالية طائعة خاضعة طوال الوقت للموحدين، بل لا نكاد نجدهم موالين لاثنتين من الخلفاء المتوالين على الخلافة الموحدية، فإن بايعوا هذا انقلبوا عليه لاحقاً وبايعوا غيره، وإن بايعوا ذلك انقلبوا على خليفته، لقد لعبت المصالح والسطوة والقوة التي ستحصل عليها القبيلة وشيخها وأفرادها دوراً مهماً في ظهور قبيلتهم.

وخلال هذه الدراسة سنتتبع قبيلة الخُلُط منذ أن نقلهم الخليفة المنصور إلى بسيط تامسنا، وسنتعرف على حالهم في كل فترة من فترات الخلفاء من بني عبد المؤمن، فأحياناً ينالون الحظوة وأحياناً يُنكبون ويقتلون، وأحياناً يستشعرون أن قوتهم تفوق قوة الخليفة، وأحياناً يسعون للفرقة بين الموحدين، ويمكننا القول إن أقصى ما وصل إليه الخُلُط من قوة وسطوة كان في عهد الرشيد، والذي قتل شيخ الخُلُط وأتباعه ونكبهم، بسبب محاولة شيخ الخُلُط التعدي على قرار الرشيد بالعفو عن الموحدين الناقضين البيعة، حيث حاول مسعود بن حُميدان شيخ الخُلُط قتلهم في طريق عودتهم، فمنذ هذا الوقت وحتى سقوط دولة الموحدين لم تقم قائمة للخُلُط، بالرغم من إعادة الخليفة السعيد لهم على مسرح

الأحداث وجعلهم من أنصاره، إلا أنهم ما لبثوا أن تورطوا في مقتله، لقد تنقلت قبيلة الخُلُط بولائها بين خلفاء الموحدين إلى أن بدأت الدولة في الإنهيار فألقوا بمبايعتهم لبني مرين المنازعين لبني عبدالمؤمن.

كلمات مفتاحية: قبيلة؛ الخُلُط؛ الموحدين؛ المغرب؛ قبيلة عربية.

Summary: "Al-Khlout"... an Arabian Trib which played a large part in the Political theater of the history almohad Caliphate, This tribe became a major political influence, after it was an out of obedience tribe. They became one of the tribes which controlled the assumption, isolation and even killing of the Almohad caliphs. Al-Khlout was marked by strength in numbers, and they felt that Power they have. The tribal elder started act accordingly. He started to felt his tribe strength, these clearly appered when he arranged to kill the mohads men who rebelled against the Caliphate and and fled the capital ,The tribal elder try to kill them in their way to the capital after the caliph Al-Rasheed already forgiven them. During this study, we will follow " Al-Khlout " tribe since the caliph al- Mansur had been transferred them to Tamesna, and we will learn about their condition in every period of the caliphs of Bani Abd al-Mu'min. we can say that the maximum power reached by the tribe of Al-Khlout was during the era of the caliph Al-Rasheed, who Killed the tribe elder and his followers and nearly destroyed all the tribe. From this time and until the fall of Almohad caliphate, the tribe lost their political power despite the Caliph al-Saeed had return them to the Capital Marrakesh and making them among his supporters. then the caliphate started collapsing, which make the tribe of Al-Khlout sending their loyalty to Bani Marin.

Keywords: Khlout; Almohads; Morocco; Arabian trib; Trib.

مقدمة: ظهرت على مسرح الأحداث ببلاد المغرب قبيلة ذات أصل عربي تُعرف باسم الخُلُط، كان لها دورٌ في تحريك الأحداث السياسية خلال عصر دولة الموحدين، حيث برز هذا الدور لاحقاً بعد أن نقلهم الخليفة المنصور الموحي إلى بسيط تامسنا، فأحياناً نجدهم في صف الموحدين وأحياناً ضدهم ويخرجون عن طاعتهم، يساندون من أمراء المؤمنين من تتفق مصالحهم معه، ظهرُوا بشكل واضح خلال فترة الناصر، فمن خلال هذا المقال سنتعرّض لقبيلة الخُلُط منذ دخولها المغرب وحتى سقوط دولة الموحدين، فكيف تعامل الخُلُط مع الموحدين؟ وكيف تعامل الموحدون معهم؟

1- التعريف بقبيلة الخُلُط وانتقالهم لبلاد المغرب: هم بنو المنتفق من بني عامر بن عقيل بن كعب، قبيلة عربية كانت من أتباع القرامطة بالبحرين، فلما ضعف أمر القرامطة رحل

بنو المنتفق مع بنو سليم إلى إفريقية، ويُعرف بنو المنتفق باسم "الخُلُط"، ويشير ابن الوزان إلى أنهم كانوا يسكنون منطقة سهل أزغار، وحالياً هم يسكنون بالقرب من القصر الكبير، ويذكر أن قبيلة الخُلُط كانت إحدى القبائل العربية التي تحالفت مع بني غانية خلال فتنتهم بإفريقية، حيث خرجوا عن طاعة الموحدين، لكنهم عادوا مرة أخرى للطاعة بعد أن قام الموحدون بالسيطرة على إفريقية وضمها لدولتهم، وقام أمير المؤمنين المنصور الموحيدي (580-595هـ/1184-1198م) بنقلهم من إفريقية إلى بسيط تامسنا بوسط المغرب الأقصى، وذلك بعد سنة 583هـ/1187م، ويُنسب الخُلُط إلى قبيلة جشم، لكنهم ليسوا منها، وذلك لأن المنصور حين نقلهم إلى المغرب نقلهم مع قبائل عربية أخرى هي: المقدم والعاصم من بني هلال بن عامر ثم من الأثيج منهم وقرة من بني هلال أيضاً، فعُرفوا جميعاً باسم "جشم"¹.

2- قبيلة الخُلُط في عهد أمير المؤمنين العادل² الموحيدي (620-624هـ/1223-1227م): استقر الخُلُط بتامسنا في المغرب الأقصى- كما ذكرنا- ونلاحظ أن المصادر الخاصة بالموحدين أو المصادر التي تتحدث عنهم- بداية من عهد الخليفة العادل بن المنصور- تذكر تلك القبيلة باسم "الخُلُط" وليس "جشم" أو "العرب" كما كان يطلق على القبائل العربية قبل ذلك دون تمييز قبيلة عن أخرى، فقد بدأ الخُلُط في اتخاذ مكانهم على الساحة السياسية بداية من عهد الخليفة العادل، فقويت شوكتهم بسبب كثرة عددهم من ناحية وقوتهم من ناحية أخرى، بالإضافة إلى أن تلك الفترة شهدت اضطراباً في أحوال الموحدين، وازداد تدخل شيوخ القبائل- سواء المغاربة أم العرب- في تولية خلفاء الموحدين وخلعهم وحتى قتلهم، وكثيراً ما نجدهم يبايعون خليفة، لكن سرعان ما ينقضون بيعتهم ويبايعون الآخر، فنجد مثلاً قبيلة الخُلُط تُبايع العادل لما انقلب على عمه عبد الواحد³ في مرسية Murcia، ودعى شيوخ الموحدين لبيعته، فكانت الخُلُط من أوائل القبائل التي قدمت فروض الطاعة، حيث وفدوا عليه عقب وصوله من مرسية ليتقلد أمور الحكم في سنة 621هـ/1224م، لكننا نجد شيخ الخُلُط "هلال ابن حميدان بن مقدم بن محمد بن هبيرة بن عواج" يُلقي بطاعة العادل وينقض بيعته وذلك في سنة 624هـ/1226م، فجهز العادل جيشاً من الموحدين لمحاربة الخُلُط، فهزمهم الخُلُط وقام هلال بإرسال بيعته للمأمون⁴، وكذلك فعلت قبيلة هسكورة، مما جعل العادل يرسل في استدعاء قبائل الموحدين لمحاربة

الخُلُط وهسكورة، لكنهم انقلبوا عليه ونقضوا بيعته وطالبوه بخلع نفسه وأرسلوا البيعة لأخيه المأمون، ولما رفض العادل خلع نفسه قاموا بقتله بمراكش خنقاً في 22 شوال سنة 624هـ/سبتمبر 1227م⁵.

3- دور قبيلة الخُلُط خلال فترة اضطراب الدولة الموحدية (624-640هـ/1227-1242م): تُعد تلك الفترة من أكثر فترات الموحدين اضطراباً وتشتمل على ثلاثة خلفاء، هم: المأمون (624-629هـ/1227-1232م)، والرشيد (630-640هـ/1232-1242م)، والمعتصم يحيى بن الناصر (624-633هـ/1227-1236م)، والذي لم يستقر له الأمر سوى ما يقرب من سنتين فقط، وباقي سنواته هي خلافات ومناوشات مع المأمون والرشيد ومزاحمة على الحكم، إن أحداث فترة خلاف يحيى متداخلة ومتشابكة مع فترتي المأمون والرشيد، بسبب كثرة دخول يحيى مراكش وخروجه منها هرباً، وكذلك تغير أتباعه وحلفائه عليه، فتارة يتلقى البيعة، وتارة ينقضوها، تارة يناصرونه، وتارة ينقلبون عليه، فقد أحصينا عدد مرات دخوله إلى مراكش وهروبه منها منذ بايعه أتباعه من أشياخ الموحدين حتى مقتله "سبع مرات"، لم يستقر له الأمر كثيراً حيث كانت فترته كلها حروب ومناوشات- كما ذكرنا- انهزم فيها وقُتل وأُسر أتباعه⁷.

بدايةً بايع الخُلُط المأمون وظلوا وشيخهم "هلال بن حُميدان" على بيعته طوال فترة حكمه فلم يخرجوا عنه ولم ينقضوا بيعتهم له، وتشير المصادر إلى أن المأمون لما وجد اضطراب الأحوال على أخيه الخليفة العادل ونقض الموحدين لبيعته، دعا لنفسه بإشبيلية بداية شوال سنة 624هـ/سبتمبر 1227م، وأرسل للموحدين بمراكش يدعوهم لمبايعته ويُعلمهم بمبايعة أهل الأندلس والموحدين بها له، فاتفق الخُلُط وشيوخ الموحدون على خلع العادل ومبايعة المأمون، لكن خاف شيوخ الموحدين بعد إرسالهم بالبيعة من رد فعل المأمون على قتلهم لأخيه العادل ومن قبله عمه عبدالواحد، وخافوا أن يتتبعهم مطالباً بالثأر، ومن هنا اشتد الخلاف والشقاق بين شيوخ الموحدين، فنجد منهم من نقض بيعته للمأمون وبايعوا ابن أخيه يحيى بن الناصر⁸، وكان شاباً صغيراً يبلغ من العمر آنذاك ستة عشر عاماً، في حين ظلت قبيلة الخُلُط العربية وكذلك هسكورة المغربية على تمسكهم ببيعة المأمون ورفضوا بيعه يحيى بن الناصر، مما حدا بالناصر بتجهيز جيش لمحاربتهم، حيث أن المأمون لم يكن قد عاد من إشبيلية بعد، واستطاع الخُلُط وهسكورة هزيمة جيش الناصر

هزيمة نكراء، إلا أن يحيى الناصر فر عن مراكش خوفاً من عمه، وكان شيخ الخُلُط "هلال بن حُميدان" قد أرسل للمأمون يستدعيه لمراكش، وبالرغم من المناوشات بين المأمون والناصر فإن شيخ الخُلُط "هلال بن حُميدان" استمر على ولائه للمأمون طوال فترة حكمه، وبعد وفاة المأمون بايع لابنه الرشيد⁹.

وبوفاة المأمون وتولية الرشيد في سنة 630هـ/1232م تدخل الدولة الموحدية مرحلة جديدة من مراحل ضعفها وانهارها، حيث شهدت فترة الرشيد اضطراباً سياسياً، بسبب صراع الناصر المستمر على كرسي الخلافة، وانقسام القبائل في بيعتهم ما بين الرشيد والناصر، وفي الواقع إن تلك الفترة شهدت أيضاً تطوراً واضحاً في مكانة الخُلُط وقوتهم وأنفتحت من الخضوع للسلطة الموحدية، فظهروا بمظهر المؤثر على الأحداث، وهو ما نراه واضحاً منذ نقضهم لبيعة العادل، ورفضهم بيعة الناصر وتقديم بيعتهم للمأمون، فقد تغير موقف الخُلُط بعد وفاة شيخهم هلال وانتقال المشيخة إلى أخيه مسعود، كما تغير أيضاً موقف هسكورة وكبيرهم عمر بن وقاريط¹⁰، وتذكر المصادر أن ابن وقاريط الذي شق عصا الطاعة وانضم لبيعة يحيى بن الناصر سنة 631هـ/1233م، أغرى شيخ الخُلُط مسعود بالخلاف على السلطة، لكن أغلب الظن أن مسعود هذا كان قد بدأ يستشعر قوة الخُلُط، خصوصاً مع اضطراب أحوال الدولة والمناوشات المستمرة بين الرشيد¹¹ ويحيى الناصر، وكيف لا يستشعر قوة قبيلته وهي التي تملك آنذاك ما يقرب من اثني عشر ألف فارساً غير المشاة الذين لا يُحصى عددهم والأتباع والحشود¹².

وتشير المصادر إلى أن شيخ الخُلُط مسعود كان قد بدأ يستشعر قوة قبيلته وبدأ في التناقل عن الوفاة، وأصبح يسعى في التفرقة بين صفوف الموحدين، وقد ظهر ذلك جلياً من خلال تصرف شيخ قبيلة الخُلُط "مسعود بن حُميدان" إزاء الخليفة الرشيد، فقد حاول مسعود قتل الموحدين الذين عفا عنهم الرشيد أثناء عودتهم للعاصمة مراكش، فما كاد يعفو الرشيد عن من انضموا ليحيى بن الناصر بعد عودتهم للطاعة، حتى توافدت عليه مراسلات الموحدين من كل جهة يطلبون منه منح الأمان، لكن يبدو أن شيخ الخُلُط "مسعود بن حُميدان"، لم يكن سعيداً بتلك الخطوة من العفو عن الموحدين، حيث أنه لما علم بمسيرهم إلى العاصمة أرسل مجموعة من جنود قبيلته للقبض عليهم وقتلهم، لكن مؤامرتهم فشلت ودخل الموحدون إلى مراكش واستعادوا مكانتهم، ونما لمسامع الرشيد ما كان

يدبرله شيخ الخُلُط، فما كان من الرشيد إلا أن دبرله مكيدة ليتخلص منه، فاستدعاه إلى الحضرة بمراكش مع كبار أصحابه وبلغ عددهم 25 فرداً، ووصل معه أيضاً معاوية عم عمر بن وقاريط الذي ما أن وصل حتى قتله الرشيد، ثم استدعى مسعود ومن معه للمجلس الخلافي فقتلهم جميعاً، وأباح ما كان معهم للناس من خيل وغيره فأنهبوهم، لقد كانت هذه الواقعة هي السبب الرئيسي في تحول قبيلة الخُلُط عن طاعة الرشيد إلى الناصر، فعقب وصول خبر مقتل شيخهم "مسعود بن حُميدان" ألقوا بطاعة الموحيدين وخلف مسعود على مشيخة الخُلُط "يحيى بن هلال بن حُميدان"، وأرسلوا ببيعهم ليحيى بن الناصر¹³.

إن مكيدة زعيم الخُلُط وشيخهم يجعلنا نتساءل إلى أي درجة وصلت قوة قبيلة الخُلُط؟ وإلى أي مدى وصلت سطوة زعيمهم؟ ليحيى مثل تلك المكيدة؟... كيف لتابع أياً كان درجته أن يتعدى على عهد الأمان الذي سبق وأن أصدره خليفته؟... إن تصرف "مسعود بن حُميدان" وقرار الرشيد بقتله يجعلنا نفترض أن قوة الخُلُط كانت قد تنامت لدرجة ربما أخافت الرشيد، فكما هو واضح أن الخُلُط أثروا بشكل أو بآخر في الحياة السياسية، وتلاعبوا بخلفاء الموحيدين، ومما يتضح من رد فعلهم على مقتل زعيمهم ورجاله، يظهر لنا أننا أمام قوة لا يستهان بها عدداً وقوة وعتاداً.

بعد مقتل "مسعود بن حُميدان" ثار الخُلُط لمقتل شيخهم وتقدموا لحصار مراكش ومهاجمتها في سنة 632هـ/1234م، مستدعين يحيى بن الناصر وانضم لهم عمر بن وقاريط أيضاً، ولما وصلوا إلى مراكش حاصروها مما أدى إلى إصابة المدينة بمجاعة شديدة فر بسببها بعض سكانها وبقي من لم يقدر على الهرب، وبسبب شدة الحصار وتدهور الأوضاع اضطر الرشيد إلى الخروج لمحاربة الخُلُط ومن انضم لهم، فانهزم الرشيد وفر هارباً إلى سجلماصة، ودخل الناصر¹⁴ مع أنصاره من الخُلُط إلى مراكش¹⁵.

استطاع الرشيد استجماع قوته في ملجئه سجلماصة، وبني تحالفات مع "جرمون بن عيسى" زعيم عرب سفيان ومن والاهم، وذلك ضد عرب الخُلُط ويحيى الناصر، وفي أثناء ذلك كان يحيى يحاول السيطرة على الوضع بمراكش، وفي سنة 633هـ/1235م خرج الرشيد متجهاً لمراكش لاستردادها من يحيى وأنصاره، وتقابل الفريقان في معركة كانت سجلاً بينهما انتهت بانتصار الرشيد بعدما انضم النصارى له، وهرب يحيى للمرة الأخيرة

لكن الوضع اختلف عن رحلات هروبه السابقة ولجوئه، فقد تخلى عنه كل أتباعه وكذلك عرب الخُلط وتركوا بيعته وأرسلوا ببيعته لابن هود بالأندلس، بعدما أشار عليهم ابن وقاريط بذلك، فأل به الحال إلى اللجوء إلى عرب المعقل، ووعدوه بالاتباع والنصرة لكنهم غالوا في مطالبتهم، ولم يكن يحيى يملك شيئاً بعدما تخلى عنه أتباعه وخرج هارباً من مراكش، فلمّا أيقنوا إفلاسه حقدوا عليه ولم يحفظوا إجارته له وقتلوه غدراً، وأرسلوا برأسه إلى الرشيد بمراكش، فأمر بتعليقها على باب الشريعة¹⁶.

4- قبيلة الخُلط وابن وقاريط عقب هزيمتهم: عقب هزيمة الرشيد للخُلط وأنصارهم يحيى الناصر وابن وقاريط فروا جميعاً، فوجد الخُلط أن مناصرتهم ليحيى لم تعد لها جدوى، ففضلوا مصالحتهم ونقضوا بيعته ونبذوه فلجأ لعرب المعقل- كما ذكرنا سابقاً- ويبدو أن ابن وقاريط خاف على نفسه من الخُلط بعدما تخلوا عن يحيى الناصر، الأمر الذي أدى به للاحتيال عليهم للنجاة بحياته، وذلك بحثهم على الاعتراف بطاعة ابن هود بالأندلس وإقناعهم بإرسال بيعتهم وكتبهم إليه، فوافقوا على ذلك واختاروه ليكون على رأس الوفد المُرسَل، وكان هذا غرض ابن وقاريط؛ فبعد زوال أمر يحيى لم يعد باستطاعته البقاء في المغرب ولم يعد بمقدوره العودة إلى بلاده وقبيلته هسكورة خوفاً من أن يُطلب في أي وقت من قبل السلطة الموحدية، فقد أحرق كل أطواق نجاته بالمغرب ولم يعد أمامه سوى اللجوء إلى مكان بعيد عن سلطة الموحدين وكان هذا المكان متمثلاً في البلاد الأندلسية الواقعة تحت سلطة ابن هود، لذلك استخدم المكر والحيلة مع عرب الخُلط، واتجه بصحبة وفد الخُلط إلى الأندلس واتصل بابن هود فأكرمه هو والوفد الخُططي وأجزل لهم العطاء، بيد أن ابن وقاريط الذي احتال لينجو بحياته لم يمهل حظه كثيراً، فحدث ما كان يخشاه من الوقوع في قبضة الموحدين، ففي سنة 634هـ/1236م ثار أهل إشبيلية على طاعة ابن هود وأرادوا العودة لطاعة الموحدين مرة أخرى، ولإظهار نيّتهم الحسنة للخليفة الرشيد الموحدي قاموا بالقبض على ابن وقاريط وأرسلوا به إلى مراكش، وقد سجن في أزمور عقب وصوله مع جماعة من كبار الخُلط، وقام الخليفة الرشيد بالتخلص من الخُلط المسجونين بقتلهم ثم أمر بقتل ابن وقاريط وصلبه برياط هسكورة¹⁷.

بيد أن الأمور قد فسدت على الخُلط وبدأت تخرج عن سيطرتهم، فبعد أن احتال عليهم ابن وقاريط وفشلت بيعته لابن هود، قرروا طلب العفو من الرشيد، بعد أن نفذت

جميع خياراتهم، أو أنهم أرادوا مهادنة السلطة الموحدية لفترة من الزمن بعد أن تدمرت خططهم، لكن الرشيد كان قد اتخذ قرار القضاء عليهم، فقام بالقبض على زعمائهم وسجنهم بأزمور، وهم: "علي بن هلال" و"وشاح بن هلال"، مع مجموعة من أعيانهم، وانتهى أمرهم بالقتل، أما بقية الخُطُط فقد قرر الرشيد معاقبتهم ونكبتهم، فأظهر لكبار رجالهم العفو وأرسل لإحضارهم فأنزلهم عند نهر تانسيفت، فلما وصلوا أرسل في طلب كبار شيوخهم فقبض عليهم وسجنهم، وأرسل جنوده إلى بيوتهم فنهبوا ونهبوا العامة، وسيقت النساء والأطفال إلى الأسواق لبيعوا في أسواق النخاسة، إلا أن الرشيد تراجع عن بيعهم فأمر بنقلهم إلى دار الأشراف وحفظهم من البيع والعبودية، وقيل إن دار الأشراف ورحاب الجامع امتلأ عن آخره منهم، فسألت أحوالهم وعطف عليهم الأهالي، إلى أن سمح الرشيد لقبائل سفيان وبني جابر- وهم أعداؤهم آنذاك- بالزواج من بناتهم ونسائهم، ولاحقاً أرسل الرشيد من بقى منهم إلى منطقة السوس¹⁸.

5- قبيلة الخُطُط في نهاية عصر الموحدين (640-667هـ/1242-1268م): استقر الخُطُط بمنطقة السوس إلى أن تولى الخليفة السعيد (640-646هـ/1242-1248م) فقام باستدعائهم وقرهم إليه وجعلهم من أتباعه، واستخدمهم في جيشه فيذكر أنه لما خرج إلى تلمسان كان بجيشه مجموع ما يقرب من 1000 فارس مدرع من الخُطُط فقط، وجدير بالذكر أن الخليفة السعيد قد لقي حتفه في تلمسان، ويقال أن الخُطُط كان لهم يدٌ في ذلك، فيشير البعض إلى أنهم قد خانوه باتفاق مع بني عبدالواد، حيث أن الخليفة السعيد كان قد أرسل إلى أبي يحيى بن يغمراسن لما وصل إلى تلمسان يأمره بالدخول في طاعته والمسير إليه، فأرسل إليه أنه تحت طاعته وسيرسل معه مجموعة من رجاله، لكنه رفض المسير إليه، فقرر السعيد أن يحاربه واستعد بجنوده للصعود إلى جبل بني عبد الواد، فرفض فرسان الخُطُط جميعاً أن يصعدوا معه، وقد فقد السعيد حياته في تلك الحملة، فلما وصل الخبر للخُطُط استولوا على ما كان معه من أموال ونهبوا معسكره، ولذلك قيل أنهم خانوه، وقيل أنهم كانوا متفقين مع بني عبدالواد ببيع معسكر الموحدين وما يحتويه لهم¹⁹.

لم يمر ما فعله الخُطُط وتسببهم بمقتل الخليفة السعيد مرور الكرام، فقد سمح لهم الخليفة أبو حفص عمر المرتضى²⁰ بدخول مراكش، ودبر لهم مكيدة قُتل على أثرها سبعون رجلاً من الخُطُط، واختلف في طريقة قتلهم ف قيل الإعدام وقيل السم، وقد انضم عقب

ذلك في سنة 655هـ/1257م شيخ الخُلُط "عيسى بن علي" وقبيلته إلى بني مَرين²¹، ذلك بعدما قويت شوكة بني مَرين وانهزم الموحدون أمامهم واستطاعوا السيطرة على المناطق الغربية كلها ولم يبق للموحدين سوى البلاد الواقعة من سلا إلى السوس²².

ويشير ابن عذارى إلى أن أحد أمراء الخُلُط وهو "عواج بن هلال" كان قد انشق عن بني مَرين وعاد مرة أخرى لطاعة الموحدين، فعاد مع مجموعة كبيرة من الفرسان الخُلُطيين، وقبلهم المرتضى وأكرمهم وأنزلهم مراكش، لكن لم يذكر ابن عذارى سبب انشقاقه عن بني مَرين وعودته مرة أخرى، إلا أن ابن خلدون يشير إلى أن عواج آل به الأمر بيد شيخ الخُلُط "علي بن علي الخُلُطي" فقتله، وهو ما يجعلنا نعتقد أن عواج كان قد انشق سراً دون علم "علي بن علي"، أو أنه كان يُخطط لشيء ما فخلص منه علي بن علي شيخ الخُلُط²³.

استمر الخليفة المرتضى بمراكش حتى فر منها أمام أبي دبوس قائد جيوشه السابق وابن عمه في يوم السبت 22 محرم سنة 665هـ/22 أكتوبر 1266م²⁴، وأبو دبوس هذا كان قد فر عن مراكش في شهر محرم من سنة 663هـ/أكتوبر 1264م، واتجه إلى أمير المسلمين "يعقوب بن عبد الحق المريني"، وقابله عند فاس وعقد معه اتفاقاً يقضى بأنه إذا ساعده في محاربة المرتضى وأمدّه بما يحتاجه من الجنود ودخل مراكش، فإن كل ما يقع تحت يديه من مدن أو ذخائر وأموال سيتقاسمها معه، وبالفعل فقد منحه جيشاً ليحارب به المرتضى كما راسل حلفاءه من شيوخ القبائل العربية ليعينوه على تحقيق هدفه، وهنا يظهر لنا اسم قبيلة الخُلُط مرة أخرى فقد أرسل الأمير "يعقوب المريني" إلى "أبي الحسن علي بن علي الخُلُطي" ليعاونه ويساعده بكل ما يحتاجه من رجال وعتاد، وبالفعل فقد قدم شيخ الخُلُط لأبي دبوس ما يحتاج²⁵، وقد نجح بمساعدة القبائل العربية والموحدين وجنود الروم من دخول مراكش والسيطرة عليها، وما كاد يعتلي أبو دبوس العرش حتى تقدم شيخ الخُلُط "علي بن علي الخُلُطي" ببيعته له في ذو القعدة من سنة 666هـ/1268م²⁶.

عاد أبو دبوس إلى مراكش كخليفة لكن الأمر لم يستقر له كثيراً، فقد دخل في حروب مع بني مَرين بعدما نقض عهده معهم، وقد قُتل أبو دبوس في حربه معهم ببلاد دكالة وقطع رأسه وطيف به بمدينة فاس، وكان مقتله في آخر شهر ذي الحجة من سنة 667هـ/30 أغسطس سنة 1269م، وبمقتله انقرضت دولة الموحدين وفر من بقى منهم إلى تينمل²⁷.

الخاتمة: في النهاية نخلص إلى أن قبيلة الخُط كانت واحدة من أقوى القبائل العربية ببلاد المغرب، فبعد وصولهم إلى المغرب ونقلهم إلى تامسنا بدأت القبيلة في الظهور بشكل تدريجي على المسرح السياسي للأحداث، فظهر دورها المؤثر جلياً خلال الفترة الأخيرة من حكم الموحدين، خصوصاً فترة الاضطراب السياسي التي تسبب فيها يحيى الناصر، فبمساعدها استطاع الناصر الانتصار على الخليفة الرشيد ودخول العاصمة مراكش، فتكاد تكون تلك المحاولة الأولى الناجحة لحصاره مراكش ودخولها، فإن كان هناك فضل لأحد في انتصاره ذلك فهو لقبيلة الخُط التي ساندته.

إن قبيلة الخُط لم تكن بالقبيلة الضعيفة ولا المهمشة، حيث تثبت في أكثر من موضع أنها كانت قادرة على قلب الموازين حتى في أسوأ أوضاعها، فكان بإمكانها أن تساند طرف على آخر وتنصره، فبالرغم من نكبتها على يد الرشيد ومن بعده المرتضى، وتعرضها وأفرادها للترحيل إلى السوس، وتعرض زعمائها للسجن والقتل، وإذلال نساءها بمحاولة بيعهن في أسواق النخاسة وتزويجهن من أعدائهن، لم يستطع خلفاء الموحدين أن يقضوا على القبيلة نهائياً أو أن يكسروا شوكتها بشكل كامل، وحتى بعد نقض الخُط بيعتهم للموحدين وتقديم بيعتهم لبني مرين، نجد أن القبيلة استمرت في التأثير على الخلافة الموحدية قبيل سقوطها، وهذا ما ظهر بشكل واضح خلال مساندتها للخليفة أبي دبوس، حيث ساعده الخُط في الوصول لكرسي الخلافة بناءً على طلب يعقوب المريني.

الهوامش:

- 1- ابن خلدون: العبر وديوان المبتدأ والخبر، ضبط المتن ووضع الحواشي خليل شحادة، مراجعة سهيل ذكار، دار الفكر، بيروت، 2000م، ج 6 ص 40/الحسن الوزان، وصف أفريقيا، ترجمة محمد حجي- محمد الأخضر، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1983م، ط 2، ص 301/ابن أبي زرع: الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس، دار المنصور للطباعة والوراقة، الرباط، 1972م، ص 218/السيد عبد العزيز سالم: تاريخ المغرب في العصر الإسلامي، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، د.ت، ص 718/عبد الوهاب بن منصور: قبائل المغرب، المطبعة الملكية، الرباط، 1986م، ج 1 ص 420.
- 2- الخليفة العادل: أبو محمد عبدالله العادل بن يعقوب المنصور، تولى الخلافة بعد عمه الخليفة عبدالواحد بعد خلعها في 20 شعبان سنة 620هـ/1223م، حيث أرسل أشياخ الموحدين بالبيعة للعادل وكان آنذاك بمرسية Murcia، وتمت بيعته بها في يوم الثلاثاء 13 صفر 621هـ/مارس 1224م، واستمرت خلافة العادل ثلاث سنين وثمانية أشهر وتسعة أيام، وقد توفي يوم السبت 21 شوال سنة 624هـ/سبتمبر 1227م. ابن عذاري: البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، "قسم الموحدين"، تحقيق: محمد إبراهيم الكتاني- محمد بن تاويت- محمد زنيير- عبد القادر زمامة، دار الغرب الإسلامي- بيروت، دار الثقافة- الدار البيضاء، 1406هـ/1985م، ط 1، ج 4، ص 146-3- ابن خلدون: مصدر سابق، ج 6 ص 40.
- 4- الخليفة أبو محمد عبدالواحد المخلوع، ويذكره المراكشي باسم: أبو محمد عبدالعزيز بن أبي يعقوب يوسف بن عبد المؤمن بن علي، كانت بيعته بمراكش يوم الأحد 13 ذي الحجة سنة 620هـ/نوفمبر 1223م، وثار عليه ابن أخيه الخليفة العادل بعد ثمانية أشهر من بيعته، وخُلع في يوم السبت 20 شعبان من 621هـ/أغسطس 1224م، وقتله الموحدون بعد خلعها بثلاثة أيام.

- وقيل بل ثلاثة عشر يوماً، فقليل أنه قُتل يوم الأربعاء 25 شعبان سنة 621هـ/ أغسطس 1224م، وقيل 5 رمضان سنة 621هـ/ سبتمبر 1224م. المعجب في تلخيص المغرب، تحقيق: صلاح الدين الهواري، المكتبة العصرية، بيروت، 1426هـ/2006م، الطبعة الأولى، ص 241/ ابن عذارى: مصدر سابق، ص 269/ مؤلف أندلسي (من أهل القرن الثامن عشر): الحلل المشوية، تحقيق: سهيل زكار، دار الرشاد الحديثة، الدار البيضاء، 1979م، الطبعة الثانية، ص 162/ الناصري: مرجع سابق، ج 1، ص 195-196.
- 5- المأمون: الخليفة الموحد أبو العلا إدريس بن يعقوب المنصور، تولى في سنة 624هـ/1227م، وكانت خلافته خمس سنين وثلاثة أشهر، أمر بإزالة اسم المهدي من السكة والخطبة ومن جميع رسوم الموحدين، وكانت فترة خلافته نزاع مع يحيى الناصر، وقد تُوّي في سنة 629هـ/1232م. مؤلف أندلسي: مصدر سابق، ص 163-164؛ خير الدين الزركلي: الأعلام، دار العلم للملايين، بيروت، 2002م، ط 5، ج 1، ص 281.
- 6- ابن عذارى: مصدر سابق، ص 273/ ابن أبي زرع: مصدر سابق، ص 247/ ابن خلدون: مصدر سابق، ج 6، ص 339.
- 7- لتتبع هروب وعودة يحيى بن الناصر لمراكش، راجع: ابن عذارى: مصدر سابق، ص 282، 274، 284، 289، 298/ الزركشي: تاريخ الدولتين الموحديّة والحفصية، تحقيق: محمد ماضور، المكتبة العتيقة، تونس، 1966، الطبعة الثانية، ص 24/ ابن أبي دينار: المؤنس في أخبار إفريقية وتونس، مطبعة الدولة التونسية، تونس، 1286م، الطبعة الأولى، ص 120.
- 8- ابن خلدون: مصدر سابق، ج 6، ص 343.
- 9- يحيى بن الناصر: الخليفة الموحد المعتمد بالله أبو زكريا يحيى بن الناصر أبي عبد الله محمد بن يعقوب المنصور بالله، ولد في سنة 608هـ/1211م، بوع له بمراكش بعد وفاة عمه العادل ونكث الموحدين لبيعهم لعمه الثاني المأمون أبو العلاء في سنة 624هـ/1227م، كانت خلافته حوالي تسع سنين لم يستقر له الوضع فيها سوى سنتين، وكانت كل أيامه خلاف ونزاع على الخلافة مع المأمون، وكانت وفاته في شوال سنة 633هـ/ يونيو 1236م. مؤلف أندلسي: مصدر سابق، ص 166-167/ الزركلي: مرجع سابق، ج 8، ص 165.
- 10- ابن عذارى: مصدر سابق، ص 273-274/ ابن أبي زرع: مصدر سابق، ص 248/ ابن خلدون: مصدر سابق، ج 6، ص 340-341/ الزركشي: مصدر سابق، ص 21-22-11- الرشيد: هو الخليفة الموحد الرشيد أبو محمد عبد الواحد بن المأمون إدريس بن يعقوب المنصور بالله، ولد في سنة 616هـ/1219م، تولى الخلافة في سنة 630هـ/1232م عقب وفاة أبيه المأمون، وأعاد ما أزاله والده من رسوم ابن تومرت، واستمرت خلافته عشر سنين وخمسة أشهر وستة أيام، وتُوّي بمراكش سنة 640هـ/1242م. مؤلف أندلسي: مصدر سابق، ص 167/ الزركلي: مرجع سابق، ج 4، ص 175.
- 12- عمر بن وقاريط الهسكوري: عمر بن وقاريط أو ابن أوقاريط، وهو شيخ قبيلة هسكورة، وكان بمدينة إشبيلية مع أبناء المأمون، ثم عادوا إلى المغرب عندما ثار عليهم أهل إشبيلية، وقد خرج على طاعة الموحدين، ثم هرب إلى الأندلس وأعاد أهل إشبيلية إلى مراكش مرة أخرى فقتله الخليفة الرشيد. ابن خلدون: مصدر سابق، ج 6، ص 342، 271، 41، 40-343، 343-13.
- ابن عذارى: مصدر سابق، ص 310/ ابن خلدون: مصدر سابق، ج 6، ص 40، 343-14- وهم الموحدين الذين فروا في عهد والده المأمون بسبب قتله للموحدين ممن تسببوا في مقتل عمه وأخيه، وبسبب قراراته التي أصدرها عقاباً لهم أيضاً-15- ابن عذارى: مصدر سابق، ص 310-315/ ابن أبي زرع: مصدر سابق، ص 255/ ابن خلدون: مصدر سابق، ج 6، ص 40، 343.
- 16- لما استقر يحيى بمراكش مسيطراً على كرسي الخلافة، قام بقتل أخاً له يدعى عليّ، بسبب مكيدة أعدها أحد الفتيان المتغلبين عليه، فقد اتهم بأنه يريد الفرار واللاحق بإخوته موسى وزكرياء اللذان سبق وأن لحقا بالرشيد، وموسى هذا كان مسئولاً عن إيصال الموحدين العائدين للعاصمة بعد منحهم الأمان، وأراد شيخ الخلط قتلهم قبل الوصول لكنه لم ينجح في ذلك، وكانت مكيدته تلك سبباً في مقتله-شيخ الخلط، وهو ما أدى إلى ثورة الخلط بعد ذلك. ابن عذارى: مصدر سابق، ص 311، 330-329.
- 17- ابن عذارى: مصدر السابق، ص 311-315، 318-326/ ابن خلدون: المصدر السابق، ج 6، ص 343-344-18- ابن عذارى: مصدر سابق، ص 330-332، 334، 336-337/ ابن خلدون: مصدر سابق، ج 6، ص 344-19- ابن عذارى: مصدر سابق،



- ص334-335، 344، 346-347/ابن خلدون: مصدر سابق، ج6، ص344-345----20- ابن عذاري: مصدر سابق، ص346، 358-
---21- ابن عذاري: مصدر سابق، ص385-386/ابن خلدون: مصدر سابق، ج6، ص346-347.
22- أبو حفص عمر المرتضى: هو الخليفة المرتضى أبو حفص عمر بن السيد أبي إبراهيم اسحق بن أمير المؤمنين أبي يعقوب يوسف بن عبد المؤمن، تولى بعد وفاة الخليفة المعتضد في سنة 646هـ/1248م، وكانت مدة خلافته ثمان عشرة سنة وتسعة أشهر واثنين وعشرين يوماً، وكان قبل خلافته والياً على رباط الفتح، وفي أواخر عهده ثار عليه ابن عمه الواثق بالله، وقتل المرتضى بتحريض من الواثق في سنة 665هـ/1266م. مؤلف أندلسي: مصدر سابق، ص168-169/الزركلي: مرجع سابق، ج5، ص41-42----23- ابن عذاري: مصدر سابق، ص405/ابن خلدون: مصدر سابق، ج6، ص350----24- ابن عذاري: مصدر سابق، ص389/ابن أبي زرع: مصدر سابق، ص258----25- البيان، ص426/العبر، ج6، ص350.
26- ابن عذاري: مصدر سابق، ص427-428، 434/ابن أبي زرع: مصدر سابق، ص259----27- ابن عذاري: مصدر سابق، ص434-435/ابن خلدون: مصدر سابق، ص351----28- ابن عذاري: مصدر سابق، ص434-437، 460/ابن أبي دينار: مصدر سابق، ص123/ابن أبي زرع: مصدر سابق، ص260----29- ابن أبي زرع: مصدر سابق، ص261/ابن أبي دينار: مصدر سابق، ص123.